

قبيعاً قبيلة ثما ونمة
وكلبها لشنانة مينا آنقاً بيتاً حلاً لشنان

ألف نفحة في سها ندمة خيشاً ملقي

ونمة ونمة رثما قبيلة ثمانة لعلتها نه قبيلة ثمانة وملعاناً نه لعا
قبيلتنا بمعشان نه له نفحة في لخ دفينه لخ للحسان شلناء ثلناء ثلة قياما
سلع ثلا دب علا في سنتن لمع شفتة في شلناء دبة لخفا رمله رمبيعة رثما
دن للحسان شلناء ريقها بليسأ زيمالهنا تعمشان نه وملبها نه
سلقة وملبها لعنة للا ين كلها طلاقاً طلاقاً طلاقاً طلاقاً طلاقاً طلاقاً طلاقاً
لوله قبيلة ثمانة لمع شفتة في شلناء دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ
وانتشار الكتاتيب القرآنية بانتشار الإسلام
رقة عمال لونه قبائل لطلا نفعه دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ
رفائل لفان قبيلة لفان نه : أنت قبيلة لفان نه لفان نفعه دبة لخ دبة لخ دبة لخ
نه سلطنة قلعتها نه لفان دبة لخ
دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ دبة لخ
النفحة دقة لخ دبة لخ
وكلبها دبة لخ
ن. مبتدئ نه أنت دبة لخ دبة لخ

سيحان سنان.

قدم الأبجدية العربية وانتشار الكتاتيب القرآنية بانتشار الإسلام

بعلم الشيخ محمد الصالح رمضان^١

لعل من المعلوم أن الكتابة من الصناعات الحضرية التي تلازم الأمم الراقية ذات الملك والسلطان والمدنية، وتجافي غيرها من الشعوب المتبدية التي تعيش على الفطرة، ولذلك لم تتفش ولم تنتشر في العرب، إلا بعد ظهور الإسلام حين اجتمعت للمسلمين أسباب الرقي والملك والسلطان، وأصبحوا يسيطرون على معظم العالم المتمدن. أما قبل الإسلام فقد كانت جزيرة العرب خلوةً من هذه الصناعة في معظمها لأن غالبية أهلها كانوا بدؤاً رُحَّلاً، لا يعنيهم من أمر الكتابة شيء في حياتهم. بخلاف بلاد اليمن في جنوب الجزيرة، وبعض الجهات الشمالية منها كالعراق والشام والأردن، وبعض الحواضر الداخلية مثل : مكة والمدينة والطائف في الحجاز، حيث يوجد بعض الاستقرار، وامتهان التجارة بالخصوص يتطلب ويقتضي معرفة القراءة والكتابة والحساب أو الإمامة بها على الأقل، خصوصاً وقريشاً كانت لها تجارة واسعة مع الدول والشعوب المجاورة، فهذا التبادل والاحتكاك الحضاري لابد أن يترك آثاره فيهم. وقد جاء الإسلام وكان فيهم أفراد كثيرون يقرأون ويكتبون.

1. كاتب وأديب.

أما البدوي الذي كانت حياته تتوقف على الارتحال والانتجاج. وعلى الصيد والقنص، أو على الغارة والسلب، فما كان ليحتاج إلى قراءة أو كتابة، فبقي أميا لا يقرأ ولا يكتب، ومع أميته وكونه لا يعرف رسمًا لحرف، ولا حكما لإعراب، فقد كان فصيحا لا يلحن في كلامه، ويندِّع في القول نظماً ونثراً أولئك هم الأميون الذين بعث الله فيهم ﴿رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾¹ ومع ذلك فقد ظلت الأمية فاشية فيهم رديعا طويلا من الزمن بعد الإسلام في غالبيتهم.

الكتاتيب القرآنية

ومن الثابت أن "الكتاتيب القرآنية" بدأت في الصدر الأول للإسلام يدرس فيها الكبار والصغار على السواء مبادئ القراءة والكتابة - ولا أدل على ذلك من فداء الأسرى بالتعليم بعد أول معركة وقعت بين المسلمين والشركين - ثم بدأت الكتابة في الانتشار شيئاً فشيئاً، حتى صارت "الكتاتيب" بطول الزمن مختصة فقط بتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن.

وفي "تاج العروس" قصة طريفة يتضح منها أن "الكتاب القرآني" كان موجوداً في زمن بن الخطاب رضي الله عنه، قال في صدد كلمة "أبجد" : "ويذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لقي أعرابياً فقال له : هل تحسن أن تقرأ القرآن، قال : نعم، قال : فاقرأ أم الكتاب (يعني الفاتحة)،

1 . سورة الجمعة الآية، 2

قال : والله ما أحسن البناء فكيف الأمهات؟ قال : فضربه ثم أسلمه إلى الكتاب ليتعلم فمكث فيه مدة قليلة، ثم هرب منه، وأنشأ يقول :

أتيت (مهاجرين) فعلموني ثلاثة أسطر متتابعات
 نكتاب الله في رقٌ صبح وآيات القرآن مفصلات
 وخطوا لي (أبا حاد) وقالوا : تعلم (سعفصا) (قريشات)
 وما أنا والكتابة والتهجي؟ وما حظ البنين من البنات؟

فهذه القصة تثبت وجود "الكتاب القرائي" في الصدر الأول للإسلام، وتنظر نفور البدوي الفطري من تعلم الكتابة والقراءة، وعدم قبوله كلمات لا يعرف لها معنى في لغته، وتصوير أشكال حروف يراها من الطلاسم التي تأباهها طبيعته البدوية، فما هي الأبجدية العربية التي كانت تعلم إذ ذاك؟

الأَبْجَدِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ وَالْأَلْفُ بَاءُ
 كانت حروف المجاز العربي مجموعة في ثمان كلمات ليسهل حفظها وهي : "أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، تخذ، ضطبع"، أما الكلمات الست الأولى فيشتراك في ترتيبها واستعمالها الشعوب السامية كلها : "أراميين، عبريين، نبطيين، الخ" وأما الكلمتان الأخيرتان : "تخذ، ضطبع" فتحتخص حروفها باللغة العربية، ولا توجد في غيرها من لغات تلك الشعوب.

وسمي هذا المجاز بـ "الأبجدية" لأن أولى كلماته هي "أبجد"، كان ذلك قبل أن ينتقل العرب إلى الترتيب المعروف الآن بـ "الألف باء"

الذي وضعه نصر بن ثابت الليبي، وسمى هذا الهجاء بالألف باء لأنها يبدأ بالحرفين "الف" و "باء" وينتهي بـ "واو" و "باء".

واستعملت حروف الأبجدية أيضاً للدلالة على الأرقام الحسابية التي تعرف بـ "حساب الجمل"، وهذا بيانها مع الأرقام الدالة عليها :

هذا الترتيب هو ترتيب المشارقة، أما المغاربة والأندلسيون فيخالفون في ترتيب كلمات الأبجدية التي بعد "كلمن"، فيجعلونها هكذا : "صعفاض، قرست، ثخذ، ظعش" كما خالفو في ترتيب حروف هجاء الألف باء بعد حرف الراء والزاي، فقدموا الكاف واللام والميم والنون، على السين والشين والصاد والضاد الخ ^{لختقا} ولا أعلم السر في ذلك.

ومعلوم أن ترتيب حروف الألف باء قائم على أساس جمع الحروف المشابهة في الشكل، ولا يفرق بينها إلا بالنقط، مثل : ب ت ث.

ج ح خ. د ذ. ر ز. س ش. ص ض. ط ظ. ع غ.

وهناك ترتيب آخر لحروف الألف باء ابتكره الخليل بن أحمد، وهو يقوم على أساس مخارج الحروف، ابتداء من أقصاها وهو الجوف، إلى أدنائها وهو الشفتان، مروراً بالحلق واللهاة والأضراس والأسنان، ولكل مخرج منها حرف أو حرفان أو أكثر فالترتيب الهجائي (الأبجدي) هو الذي كان سائداً في الجاهلية عدة قرون بين الشعوب السامية، ومنهم العرب في جاهليتهم، ثم في الإسلام ردوا من الزمن، قبل أن يتحول إلى الترتيب (الألف بائي) المعروف اليوم، ويذكر صاحب القاموس أن كلمات : "أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفاض، قرست" هي أسماء ملوك مدين، وكلمن رئيسهم، وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم، وهلکوا في (يوم الظلة)، فقالت أبناء كلمن :

1. دقيقاً داعشياً 081.

كل من هدم ركني هلكه وسط المحلة
 سيد القوم أتاه الحتف نارا وسط (ظلمة)
 جعلت نارا عليهم دارهم كالمضم حلة

أما يوم "الظلمة" فراجع فيه تفسير قوله تعالى : ﴿فَأَخْذُهُمْ عِذَابَ
 يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عِذَابُ يَوْمِ عَظِيمٍ﴾¹، وقصة سيدنا شعيب مع
 أصحاب الأئكة في أرض مدين العربية وملخصها : أنه لما كذبوا
 رسول ربهم سلط الله عليهم الحر الشديد، فكانوا يفرون من الحر إلى
 كل ما يحميهم، إلى أن أظلتهم سحابة من الشمس، فاجتمعوا تحتها
 يستظلون بظلها غير الظليل، ليتقوا بها حر الشمس فأسقطها الله عليهم
 نارا حامية، فأحرقتهم جميعا. ذلك هو يوم الظلمة.

الكتاب في المغرب العربي

أما في مغربنا العربي، فإن "الكتاب القرآني" انتشر فيه بعد الفتح
 العربي الإسلامي، بعد استتباب الأمن، واستقرار النظام الجديد، وكان
 الكتاب أولاً في المساجد، فلما تعلم الكبار ما تيسر لهم من مبادئ
 الإسلام وأحكامه، عزموا على تنشئة أطفالهم تنشئة إسلامية، فأسسوا
 مع المسجد الكتاب القرآني متصلًا به أو مفصولا عنه، ليتبع الكبار في
 المسجد، ويتعلم الصغار في الكتاب، وهذا لا يمنع أن يبقى المسجد محل
 تعليم أيضًا للشباب والكهول، ليتفقهوا في دينهم ويتعلموا لغة كتابه العزيز.
 ولعل هذا التداخل بين الكتاب والمسجد هو الذي جعل العامة
 عندنا تطلق عليهما كلمة جامع، فيقول العامي "ولدي يقرأ في الجامع"

1. سورة الشعرا الآية، 189.

أي في الكتاب أو المدرسة، كما يقول : "صلیتُ فی الجامع" أي في المسجد ولو لم يكن المسجد جاماً للجمعة، والدلالة اللغوية لا تمنع من هذا الاستعمال، فمحل العبادة جامع للمصلين، ومكان التعليم جامع للقراء والمتعلمين، فالجامع لفظ مشترك بين المصلى والكتاب.

وفي بعض مدننا التلية والساحليّة يطلقون كلمة أخرى على الكتاب والمدرسة هي كلمة "السيد"، ولعلها تحريف حضاري أو بربري لكلمة "مسجد" عندما كان المسجد محل عبادة وتعليم في أول عهده، فبدل أن يقولوا : "مسجد" قالوا : "سيد" تخفيفاً، وجرياً على عادتهم في التحريف والتخفيف.

ففي قسنطينة مثلاً حي كامل يدعى "سيدي مسید" ، وفي تونس "مسيد القبة" ، وربما في غيرهما أماكن كذلك تحمل هذا الاسم.

والخلاصة أن "الكتاب" هو الاسم العربي الذي كان يطلق منذ ظهور الإسلام على المكان الخاص بتعليم الكتابة وتحفيظ كتاب الله، دون أي شيء آخر من المعرفة.

وقد أخذت الكتاتيب القرآنية وطرائقها العتيقة نزول في الوقت الحاضر، بعد فرض وإجبارية التعليم الرسمي المجاني، بإنشاء المدارس الابتدائية العصرية، فنراً عن ذلك اهتمام بتعليم القراءة والكتابة والحساب ومبادئ العلوم والرياضيات والرسم والموسيقى. كاد يعم جميع الصبيان في سن التعليم، وبه سترفع الأمية في وقت قريب إن شاء الله، ولا يبقى في بلادنا من يجهل القراءة والكتابة والحساب، وهي لعمري حسنة من حسنات الحضارة والمدنية، ونعمـة من نعم الاستقلال

والحرية، ولكن وراء الأكمة ما وراءها، فلا تغرنكم خضراء الدمن،
ولا يخدعنكم بريق هذا التقدم إذا لم نهتم بذلك بالقرآن والتربية
الدينية في مدارسنا. ففي هجر القرآن ما فيه من هجر الإسلام والجهل بمبادئه، وفي
هجرهما ما فيه من هجر قيمنا ومقوماتنا، وفي ذلك ما فيه من فقد
ميزاتنا ومَحْو كياننا الذي به كنا وبه أقينا وسبقى.
فقد تقلص حفظة القرآن تقلصاً مريعاً، ومساجدنا اليوم -والحمد لله
كثيرة- ولكنها بحاجة إلى من يعمرها من الأئمة المرشدين والمدرسين
الأكفاء، وبعضها لا يجد أنصاف أو أشباه الأئمة.
كان لنا أمل كبير في "المعاهد الإسلامية" بوزارة الشؤون الدينية
لسد تلك الثغور وغيرها، ولكن هذه المعاهد قضي عليها بحرة قلم،
ترضية لنغمة ناشزة، لم تجده من يرد عليها باليت هي أحسن أو أحسن،
مثل ما توقفت "ملتقيات الفكر الإسلامي" ولم تُعوض بشيء.

تفعلان نهاداً عريضاً يداً نهاداً
تفعلان نهاداً عريضاً تفعلن نهاداً